لا جبر و لا تفويض
بل أمر بين أمرين ج٣

دورة عقائدية مُختصَرة تتحدَّث عن اهَم المطالب العقائدية التي يَجب على الشيعي و المؤمن ان يعتقد بها و ان يكون مُحيطا و عارِفا بِدقائقها و لو بِشَكل اجمالي .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالَمين و صلى الله على سيّدنا و نَبيّنا مُحمّد و آله الاطيبين الاطهرين , و اللعنة الدائمة على اعدائهم و اعداء شيعتهم اجمعين .

لا زالَ كلامنا في افعال العباد او ما يُعبَّر عنه في احاديثنا الشريفة بالمنزلة بين المنزلتَيْن , في الدرسَيْن الماضيَيْن : بيَّنتُ ما معنى الجَبر – و ما معنى التفويض بِنَحو سريع

_ و تَحدَّثتُ بعض الشيء عن معنى الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم:{ أنّ القَدْرية مَجوس هذه الأُمّة }

_ و كيف أنّ المُجبّرة يقولون : بأنّ هذا الحديث في المفوّضة

_ و أنّ المفوّضة يقولون : أنّ هذا الحديث في المُجبّرة

_ و قُلنا بأنّ المُجبّرة قَدْرية _ و بأنّ المفوّضة قَدْرية

_ فالمفوّضة يُقال لهم : (قَدْرية) لأنّهم ينكرون القدَر

_ و المُجبّرة يُقال لهم : (قَدْرية) لأنّهم يربطون افعال العباد على نَحو التقدير الإجباري و انّ الله سبحانه و تعالى اجبَرَ العباد على افعالهم و قدَّرَ لهم هذا التقدير

_ لذا فالفرقَتان : المُجبّرة _ و المُفوّضة _ كلاهما يوصَفُ في كثير من الروايات بالقَدْرية و إنْ كانت هناك طائفة من الاحاديث الشريفة يمكن من خلال النظر في مضامينها و كلماتها , انّ وصف (القَدْرية) يكون للمفوّضة في بعض الاحيان لكن بِنَحو عام القَدْرية عنوان للمُجبّرة و المُفوّضة و هُم مَجوس هذه الأُمّة لعنة الله عليهم جميعا

_ في الدرسَيْن الماضيَيْن تناولتُ بعضا من الاحاديث الشريفة التي اورَدَها شيخنا الكليني رحمة الله عليه

_ في الدرس الاول : فعلاً كُنّا قد وقَفْنا عند الرواية الاولى , رواية الشيخ الذي سألَ أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه عن مسألة مسيرهم إلى صفّين , بعد مُنصرَفهم من صفّين و هل انّهم كانوا في غزوَتهم هذه و في جهادهم هذا باختيارهم او بإجبار من الباري سبحانه و تعالى و لذلك الدرس الاول خصَّصناه لِهذه الرواية باعتبار انّ هذه الرواية أُمّ الباب و في حينها ذكَرتُ , قلتُ بأنه الكثير من كتُبنا الكلامية و الكثير من كتُبنا العقائدية التي تَحدّثَتْ عن مسألة : المنزلة بين المنزلتَيْن او عن مسألة الجَبر و التفويض او عن مسألة افعال العباد , هذه عناوين ثلاثة لِمَوضوع واحد , قُلت , كثير من كتُبنا , في حينها اشَرتُ إلى بعض من هذه الكتُب , ذكرَتْ هذه الرواية الشريفة المروية عن أمير المؤمنين صلوات الله و سلامه عليه , لذلك الدرس الاول كان مُخصَّصا لِبَيان معنى هذه الرواية و لِشَرح عباراتها .

_ و في الدرس الثاني : من دروس عقيدة الجَبر و التفويض تناولنا مَجموعة من الروايات الشريفة و وصلَ بنا الكلام إلى الرواية الرابعة التي يرويها يونس بن عبد الرحمن عن إمامنا الرضا صلوات الله و سلامه عليه , و هذه الرواية قرأتُها على مسامعكم ثم شرَعتُ في تِبيان معانيها و لم يُسعِفنا الوقت في تكملة معناها لذا في هذا اليوم أُتِمُّ الحديث من حيث انتهَينا

_ قال إمامُنا صلوات الله و سلامه عليه : يا يونس ليس هكذا _ يعني ليس كما قُلتَ لأنّ يونس بن عبد الرحمن قال : لا يكون إلاّ بِما شاء الله و ارادَ و قدَّرَ و قضى

_ فَقال إمامُنا الرضا صلوات الله و سلامه عليه : يا يونس ليس هكذا _ يعني ليس كما تقول و إنّما هكذا : لا يكون إلاّ ما شاء الله و ارادَ و قدَّرَ و قضى _ و إذا دقَّقْنا النظر في العبارتَيْن لا نَجد فارِقا واضحا بين العبارتَين :

_ لاحِظوا عبارة يونس : لا يكون إلاّ بِما شاء الله و ارادَ و قدَّرَ و قضى _ الإمام نَهاهُ عن ذلك

_ قال : لا , ليس هكذا تقول _ و إنّما قُلْ : لا يكون إلاّ ما شاء الله و ارادَ و قدَّرَ و قضى _ العبارة نفس العبارة لكن هناك فارِق دقيق و هو انّ يونس بن عبد الرحمن ادخَلَ الباء . حرف الجر . على العبارة _ لا يكون إلاّ بِما شاء _ الإمام صلوات الله و سلامه عليه قال له ليس هكذا و إنّما _ لا يكون إلاّ ما شاء الله _ و قُلنا هذه الباء تشير إلى معنى السَببيّة

_ هذا المعنى شرَحتُه , لا أُعيد الكلام حتى نتمكن ان نأخذ قسطا اوفَر من الاحاديث الشريفة التي ذكَرَها شيخنا ابو جعفر رحمة الله عليه , تقريبا إلى هنا تَمَّ الكلام في الدرس الماضي .

_ ثم إمامُنا يُخاطب يونس بن عبد الرحمن _ يا يونس : تعلَمُ ما المشيئة ؟ قلتُ : لا , قال : هي الذِكرُ الأول _ باعتبار الإمام هكذا قال : قال , لا يكون إلاّ ما شاء الله و ارادَ و قدَّرَ و قضى

_ يعني هناك مراتب اربعة : ما شاء الله _ لا يكون يعني : لا يكون شيء , لا يَتحقَّقُ وجود شيء إلاّ ما شاء الله _ و أرادَ _ و قدَّرَ _ و قَضى _ فَهناك مشيئة _ هناك إرادَة _ هناك تقدير _ و هناك قَضاء { إلاّ ما شاء الله و ارادَ و قدَّرَ و قضى }

_ هناك أولاً : مشيئة _ ثانياً : إرادَة _ و ثالثاً : تقدير _ و رابعاً : قَضاء

_ و لذلك الإمام يسأل يونس بن عبد الرحمن عن هذه العناوين : يا يونس , تعلَمُ ما المشيئة ؟ قلتُ : لا , قال : هي الذِكرُ الأول

_ المشيئة _ إذا أرَدنا أن نأخذَها من وجهة لغَوية , كلمة المشيئة : تعني الإرادة _ شِئتُ كذا يعني ارَدتُ كذا _ و شاء فلان : يعني أرادَ فلان _ شاءَ _ أو لم يَشأ _ يعني أرادَ _ أو لم يُرِدْ

_ فالمشيئة : تأتي بِمَعنى الإرادة من الوجهة اللغَوية

_ أمّا المشيئة هنا في هذه الرواية الشريفة : جاءتْ بِنَحوٍ اصطلاحي _ بالنتيجة الكلمات تارةً تأتي بِمَعنى لغَوي , و تارةً تأتي بِنَحو اصطلاحي , و المشيئة , اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمَعين استعمَلوها في بعض الاحاديث بالنَحو اللغَوي , بالمعنى اللغَوي , و في بعض الاحاديث استعمَلوها بالنَحو الإصطلاحي

_ و هنا الذي يبدو من الحديث الشريف من جهتَيْن او من قرينتَيْن : أنّ الإمام استعمَلَها بالمعنى الإصطلاحي

_ أولاً : في نفس الحديث ماذا قال ؟ قال : لا يكون إلاّ بما شاء و ارادَ و قدَّرَ و قَضى _ يعني ذكَرَ الإرادة و ذكَرَ المشيئة _ و قُلنا : من الجهة اللغَوية المشيئة بِمَعنى الإرادة , فَحينما ذكَرَ الإرادة في مراتب اربعة : في ما شاء _ و أرادَ _ و قدَّرَ _ و قَضى _ يعني أنّ المشيئة هنا استُعمِلَتْ في معنى هو غير المعنى اللغَوي , غير معنى الإرادة بِقَرينة انّه قال : إلا ما شاء و أراد _ لا يكون إلاّ ما شاء و ارادَ _ هذا من جهة

_ و من جهة ثانية : الإمامُ حينما سأل يونسَ فَقال له : يا يونس تعلَمُ ما المشيئة ؟ قلتُ : لا , قال : هي الذِكرُ الأول _ بيَّنَ له معنى المشيئة , فَبيَّنَ له معنى المشيئة بِهذا الشَرح _ قال : هي الذِكرُ الأول _ و الذِكر الاول : ليس معنى لغَويا لِكَلمة المشيئة _ و إنّما هو بيان لِمَعنى اصطلاحي يستعملُه اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين في احاديثهم الشريفة

_ و المشيئة كما يظهر من الاحاديث الشريفة : هي أساس الخلقة

هذا المصطلح يُراد منه اساس الخلقة كما جاء في بعض الاحاديث التي مرَّ ذِكرُها علينا { إنّ الله اول ما خلقَ ,خلق المشيئة _ خلَقَ المشيئة بِنَفسها ثم خلَقَ الخَلق بالمشيئة }

_ يعني هناك مرتبتان : إنّ الله اول ما خلقَ , خلَقَ المشيئة لكن كيف خلَقَها ؟ الاحاديث الشريفة تُبَيّن لنا انّ الله خلَقَ المشيئة بِنَفسها (ثم) في المرتبة الثانية (ثم خلَقَ الخَلق بالمشيئة _ و هاتان المرتبتان هُما اللتان تَحدَّثتُ عنهما في الدرسَيْن الماضيَيْن من دروس الآداب المعنوية في ليالي الجمُعات , ما عبَّرْنا عنه : بالخَلق الأول _ و بالخَلق الثاني

_ يعني هناك عالَمان _ هناك مرتبتان في الخَلق _ هناك مرتبتان في الوجود اوجدَهُما الباري سبحانه و تعالى : مرتبة الخلق الاول _ و مرتبة الخلق الثاني .

_ مرتبة الخلق الأول : مرتبة أنوار أهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , هذه الانوار التي مكثَتْ دهورا و لم يكُن هناك شيء { كيف كنتُم حيث كنتُم في الاظلَّة ؟ حينما يسأل المفضَّلُ رضوان الله تعالى عليه إمامَنا الصادق عليه افضل الصلاة و السلام _ قال : كُنّا في ظُلَّة خضراء نُسَبّحهُ حين لا تسبيح , و نُقَدّسهُ حين لا تقديس } هذه المرتبة من الخَلق هي مرتبة الخلق الاول و هي التي يُعَبَّرُ عنها بالصادر الاول _ و التي يُعَبَّر عنها بالنور الاول _ و التي يُعبَّر عنها بالعقل الاول _ و التي يُعبَّر عنها بالفَيض الاقدس

_ أليس في اصطلاح العُرَفاء هناك مرتبتان للفَيض ؟

_ هناك الفَيض الأقدس

_ و هناك الفَيض المقدس

_ إذا تراجع كلمات العُرَفاء في كتُبهم تجد للفيض مرتبتان _ تَجد للفَيض مرتبتَيْن : المرتبة الأولى مرتبة الفَيض الاقدس , و المرتبة الثانية مرتبة الفَيض المقدس .

_ الفَيض الأقدس : صيغة افعل التفضيل _ أقدَس _ افعَل _ صيغة أفعل التفضيل

_ الفَيض الأقدس : يعني الأكثر قُدسية من الفَيض المقدس

_ و الفَيض الأقدس : هو الخلق الأول

_ و الفَيض المقدس : هو الخلق الثاني

_ و الفَيض الأقدس أو الخلق الأول : هو المشيئة

_ و الفَيض المقدس او الخلق الثاني : هو الخلق الذي خُلِقَ بِواسطة المشيئة

_ أول ما خلَقَ الله المشيئة , خلَقَها بِنَفسها ثم خلَقَ الخلق بالمشيئة _ و لذلك عُبِّر عن المشيئة هنا بالذِكر الاول , أمّا جملة من اصحابنا من الذين تناولوا شرحَ هذا الحديث وقَعوا في اشتباه , شرَحوا المشيئة بِمعنى الإرادة , قالوا : المشيئة بِمعنى الإرادة _ ثم قالوا : معنى الإرادة هو العزيمة , لأنّه الحديث هكذا قال (:لا يكون إلاّ ما شاء و ارادَ _ و الحال الإرادة _ و المشيئة _ و العزيمة . من جهة لغَوية . تكاد تَتَّفق في جوهر المعنى

على أي حال انا لا اريد ان ادخل في هذه التفصيلات لكن هناك قرينتان واضحتان في الحديث , قرينة ذِكر المشيئة و الإرادة على سبيل المراتب , هنا لم تُذكَر الإرادة على سبيل الترادُف لأنّ الإمام بِصَدد ذِكر مراتب وجود الشيء , و الاحاديث الشريفة فيما سلَف حدَّثَتْنا عن مراتب وجود الشيء : إلا بما شاء _ إلاّ ما شاء و ارادَ و قدَّرَ و قَضى _ الإرادة مرتبة _ المشيئة مرتبة

_ فَهذا يعني : أنّ معنى الإرادة هنا غير معنى المشيئة _ لأنّ الإرادة مرتبة و المشيئة مرتبة , ثم انّ الإمام صلوات الله و سلامه عليه لَمّا بيَّنَ معنى المشيئة لِيونس , قال : هي الذِكرُ الاول

_ و المقصود من الذِكر الاول : يعني أول شيء ذكرَهُ الباري سبحانه و تعالى فأوجدَهُ , الذِكر الاول كما يُقال لِخَلق الله سبحانه و تعالى انّها كلمات الله و الكلمات التامّة اهل البيت , هناك كلمات للباري سبحانه و تعالى و كلماتُه تامة لكن الكلمات الاتَم اهل البيت { اللهم إنّي أسألُكَ من كلماتك بأتَمّها و كل كلماتك تامة } تمام مخلوقات الباري كلماتُه التامة لكن هناك كلمات اتَم , تُلاحظون الحديث الموجود و المعنى الموجود في هذا الدعاء الشريف , ايضا مرتبتان : اللهم إنّي أسألُكَ من كلماتك بأتَمّها و كل كلماتك تامة _ يعني هناك كلمات اتَم _ هناك كلمات تامة _ هناك

فَيض أقدَس _ هناك فَيض مقدَّس _ هناك خَلق اول _ هناك خَلق ثاني , هذا واضح في سائر الاحاديث و الروايات المعصومية الشريفة المروية عن ائمَّتنا صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين

_ قال : هي الذِكرُ الأول _ الذكر الأول لأنّ هناك ذِكراً ثانٍ و هو انّ الباري سبحانه و تعالى اوجدَ سائر الموجودات من نورية الذِكر الاول { يا يونس, تعلَمُ ما المشيئة ؟ قلتُ : لا , قال : هي الذِكرُ الأول } يعني أنّ الله سبحانه و تعالى إذا ارادَ ان يوجِدَ شيئا لا بد ان يكون لِهذا الشيء وجود في هذه المراحل : _ أول وجود له : هو وجودُه العلمي الاصلي النوري في الحقيقة الاولى , في حقيقة اهل البيت لأنّ حقيقة اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين هي الحقيقة الجامعة _ الحقيقة المُنبسطة التي ظهرَتْ انوارها في كل شيء , كما انّ اصل وجود الاشياء في علم الله _ نَحن إذا ارَدنا ان نرجع إلى اصل الاصول _ إلى علّة العِلَل _ إلى رَبّ الأرباب

_ فأصلُ وجود الاشياء في العلم الإلهي الازَلي

_ بعد ذلك العلم الإلهي الازَلي تَجلّى في الذِكر الاول , في المشيئة الاولى , في الحقيقة الاولى , في الموجود الاول الذي اوجدَهُ الباري سبحانه و تعالى _ في حقيقة اهل البيت احصى الباري تَمام الاشياء (و كلَّ شيءٍ احصَيْناهُ في إمام مُبين)

_ الإمام المُبين للوجود حقيقة اهل البيت _ الإمام المُبين : لها مَعاني _ و لها مراتب _ و لها مظاهر _ و تَنَزُّلات : الإمام المُبين لِكُل الوجود _ الإمام المُبين للشِرعة المُحمَّدية و الإمام المُبين للخلق و للناس _ الإمام المعصوم بِمَظهره البشَري على وجه الارض و إنّ الباري احصى فيه كل شيء _ و الإمام المُبين قد يكون ايضا القرآن كما وردَ في بعض الروايات لكن ابناء العامة فسَّروا هذه الآية فقط في معنى القرآن , القرآن إمام مُبين و الإمام المعصوم إمام مُبين لكن لِكُل إمام خصوصيتُه و لِكُل إمام جامعيَّتُه _ _ أمّا الإمام المُبين على الإطلاق لِكُل الوجود : حقيقة أهل البيت الأولى صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين

_ هذه الحقيقة الأولى التي تَجلَّتْ بعد ذلك في مظاهرهم البشَرية عليهم افضل الصلاة و السلام , الحقيقة الاولى , تلكُم هي الحقيقة الجامعة , فَما من شيء إلاّ و يكون اصلُه و يكون جَوهرُه و تكون نوريتُه الاولى قد أُحصِيَتْ في هذا الكتاب المُبين , في الحقيقة الاولى , في حقيقة اهل البيت ,

فَوجود الشيء في المشيئة بِهذا المعنى , الوجود العلمي , الوجود النَوراني الاول في الحقيقة الاولى التي خلَقَها الباري سبحانه و تعالى (إلاّ ما شاء و أرادَ و قدَّرَ و قَضى) فَهذا الوجود الاول .

ـ الوجود الثاني : في مرحلة الإرادَة

ـ في مرحلة الأراده ـ هو ظهور إرادَة الباري سبحانه و تعالى في إرادَة أهل البيت ـ في إرادَة الحقيقة الأولى , ظهور ارادَة الباري سبحانه و تعالى في ارادَة الصادر الاول , تَتجلّى ارادَتُه في الصادر الاول , تَتجلّى ارادَتُه في النور الاول , و حينما تتجلّى ارادَة الباري في النور الاول حينئذ تَصدُر الاشياء , حينئذ تتحقَّق الاشياء , و تَحقُّق الاشياء ايضا يكون على مراتب , و تَحقُّق الاشياء إنّما يكون بواسطة الملائكة , أليس هنالك الملائكة العَمّالة , هنالك الملائكة الخَلاّقة , بواسطة الملائكة , الآن القَبض و البَسط و الرزق و الإعطاء و الفَيض , وصولُه إلى الخلق أليس بواسطة الملائكة ؟ و بأمر الحقيقة الاولى , و امرُ الحقيقة الاولى امر الله سبحانه و تعالى , فَما من شيء في هذا الكون إلاّ و قد وُكِّلَ به ملَك , أليس الروايات الشريفة تقول , اصلاً , ما من قطرة من قطَرات المطر إلاّ و قد وُكِّلَ بها ملَك يوصِلُها إلى المكان الذي قُدِّرَ لِهذه القطرة ان تَصِل إليه ـ و لذلك أكثر الخَلق إنّما هو من الملائكة و هذا المعنى واضح في الروايات , إن شاء الله لو وصلَ بنا الحديث في الفصل الدراسي القادم في دروس العقائد الشيعية , إذا وصلَ بنا الكلام إلى عقيدتنا في الملائكة , نتحدَّث عن اصناف الملائكة و عن اوصاف الملائكة و عن مراتب الملائكة في رواياتنا و في احاديثنا المعصومية الشريفة .

ـ فَهُناك مرتبة التقدير ـ و هناك مرتبة القضاء , و التقدير و القضاء تَحدَّثنا عنهما في الدروس الماضية و ما المقصود من التقدير و ما المقصود من القَضاء

ـ و إنّ المقصود من التقدير هو القواعد الكُليّة و القوانين الكُليّة التي يُقَدَّر بها وجود الاشياء في عقيدتنا , و في حديثنا عن القضاء و القدَر تَحدَّثنا عن هذه المسألة لذا لا أُعيد الكلام , استمرُّ في قراءة الرواية { يا يونس , تعلَمُ ما المشيئة ؟ قلتُ : لا , قال : هي الذِكرُ الأول , فتَعلمُ ما الإرادة ؟ قلتُ : لا , قال : هي العزيمة على ما يشاء , فتَعلمُ ما القدَر ؟ قلتُ : لا , قال : هي الهندسة و وَضعُ الحدود من البقاء و الفَناء } و فيما تقدَّم في الدرس الماضي اشَرتُ إلى معنى الهندسة و انّ كلمة (الهندسة) ليست كلمة عربية و إنّما أُخِذَتْ من الكلمة الفارسية : اندازَه ـ و اندازه يعني التقدير , يعني المقدار , فَكلمة (الهندسة) في اصلها ليست عربية , أُخِذَتْ من هذه الكلمة , من كلمة (

اندازَه) فَعُرِّبَتْ الكلمة فَقيل (هندَزَه) و في لغة العرب في جذور الكلمات لا يوجد عندنا ان يأتي حرف الزاي بعد حرف الدال لذلك قُلِبَتْ الزاي إلى سين فَقيل (الهندسة) المقصود من الهندسة هو علم المقادير , علم التقدير (فتَعلمُ ما القدَر ؟ قلتُ لا , قال هي الهندسة و وَضعُ الحدود) كما بيَّنتُ قبل قليل , وَضع القوانين الكُليّة لِتَحقُّق و لِوجود الاشياء و هذا المعنى شرَحناهُ في الدروس الماضية , يمكنك ان تُراجعها { قال , ثم قال : و القَضاء هو الإبرام } الإبرام يعني القَطع , ابرَمَ الامر يعني قطَعَهُ , لا بد ان يتحقَّق , قضاء مُبرَم يعني لا بد ان يكون , لا بد ان يتحقَّق , لا بد أن يقع ــ و القَضاء هو الإبرام و إقامة العَين ــ إقامة العين , يعني إقامة العَين للموجود في الوجود الخارجي لأنّ هذه المراتب , هذه مرتبة المشيئة , مرتبة الإرادة , مرتبة القَضاء , هذه في العوالم العُلوية , في العوالم المثالية , في العوالم النورية

ــ أمّا مرتبة القضاء : قال هي الإبرام و اقامة العَين ــ إقامة العين , المقصود من العَين نفس الموجود , تَحقُّق عَين الموجود في الوجود الخارِجي كَتَحقُّق اعياننا , تَحَقُّق اعيان الموجودات في الوجود الخارجي (و القضاء هو الإبرام و اقامة العَين) و لذلك قال عنه ابرام لأنّه إذا وصلَ الموجود إلى هذه المرتبة بِحَيث ظهرَتْ عَينُ وجوده صارَ وجودُه واجبا , إذا تَحقَّقَتْ عَينُه صارَ وجوده واجبا من جهة تَحَقُّق وجوده في الوجود الخارجي في هذه المرتبة و إلاّ تبقى الموجودات في مرتبة الإمكان بين الوجود و العدَم , لكن إذا ما تَحقَّقَ وجود العَين , في هذه المرتبة , في تَحقُّقهِ صارَ وجوده واجبا حقيقيا في الوجود الخارجي و في العالَم الخارجي { قلتُ : و القَضاء هو الإبرام و إقامة العَين , قال : فاستأذَنتُه أن أُقبِّل رأسَه ــ يعني يونس طلَبَ من الإمام ان يأذَن له في أن يُقَبِّل رأسَهُ الشريف ــ فاستأذنته أن أقبل رأسه و قلتُ : فتحتَ لي شيئا كنتُ عنه في غفلة } ــ باعتبار انّه يونس كان يذهب إلى رأي , هذا الرأي يُخالف الصواب كما بيَّنَتهُ الرواية في الشطر الاول منها و تَحدَّثنا عن الذي يذهب إليه يونس رحمة الله عليه و المعنى الذي اشارَتْ إليه الرواية في الدرس الماضي .

ــ ننتقل الآن إلى الرواية الخامسة التي اوردَها شيخُنا الكليني رحمة الله عليه , عن ابراهيم بن عمر اليماني عن ابي عبد الله عليه السلام قال : إنّ الله خلَقَ الخلق فَعَلِمَ ما هُم صائرون إليه , و امرَهُم و نَهاهُم , فَما امرَهُم به من شيء فقد جعلَ لهم السبيل إلى تَركه و لا يكونون آخِذينَ و لا تارِكين إلاّ بإذن الله ــ تَمَّتْ الرواية الخامسة .

الرواية لا تَحتاج إلى بيان طويل لأنّه المعاني المذكورة فيها تَحدَّثتُ عنها في الدرسَين الماضيَيْن لكن بِشَكل سريع نُلقي نظرة على الرواية : إنّ الله خلَقَ الخلق _ الخلق بِنَحو عام , تشمل البشَر و غير البشَر , شمولية عامة لِكُل ما خلقَهُ الباري و إن كان الحديث هنا بِنَحو الخصوص _ بِخصوص بَني الإنسان , بِخصوص بَني البشَر لكن كلمة _ الخَلق _ شاملة للبشر و لِغَير البشَر لكن الحديث هنا باعتبار الكلام عن افعال الإنسان , هل هو مَجبور على هذه الافعال او هل قد فوَّضَ الباري له هذه الافعال بِحَيث هو يَخلق افعالَهُ كما تقول المُفَوّضة , او هي العقيدة الصحيحة التي نذهب إليها و هي عقيدة (المنزلة بين المنزلَتَيْن) .

_ إنّ الله خلَقَ الخلق فَعَلِمَ ما هُم صائرون إليه _ و هذا في العلم الازَلي , و حينما تَحدَّثنا عن معنى البَداء , حدَّثَتنا الروايات الشريفة : بأنّه ما من شيء إلاّ و هو في علم الله سبحانه و تعالى _ و الذي يعتقد انّه سيَكون شيء في مرتبة من مراتب الوجود او في آنٍ من آنات الزمان , يكون شيء لم يكُن الباري يعلم به كما قالَ إمامُنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه : فَمَنْ اعتقدَ ذلك فأخزاهُ الله _ يعني هذه عقيدة باطلة , عقيدة تُخرِج الإنسان إلى الشِرك , من التوحيد إلى الشِرك

_ إنّ الله خلَقَ الخلق فَعَلِمَ ما هُم صائرون إليه _ هو عالِم بِعَواقب الخَلق و عالِم بِكُل شيء يَجري في هذا الوجود منذ ان اوجدَهُ و إلى ان تستمر مراتب الوجود بِما يشاء الباري و بِما يعلم الباري سبحانه و تعالى _ إنّ الله خلَقَ الخلق فَعَلِمَ ما هُم صائرون إليه _ و مع علمهِ فإنّه امَرَهُم و نَهاهُم _ و أمَرَهُم و نَهاهُم _ الرواية هنا في القسم الاول من هذه العبارة تَحدَّثَتْ عن العلم الازَلي , عن العلم الإلهي الازَلي , في هذه المرتبة , و انّ العلم الإلهي الازلي مُحيط بِجزئيات الامور و مُحيط بِعَواقب الخَلق و بِعَواقب الناس , الصالح منهم و الطالح منهم _ إنّ الله خلَقَ الخلق فَعَلِمَ ما هُم صائرون إليه _ هذه العبارة تتحدَّث عن هذه المرتبة , عن مرتبة العلم الإلهي الازَلي

_ و أمَرَهُم و نَهاهُم _ أمّا هذه العبارة الثانية تتحدَّث عن مرتبة اخرى , عن مرتبة التشريع و عن مرتبة ارادَة الباري التشريعية _ أمَرَهُم و نَهاهُم _ هنا لا على نَحو الامر التكويني فإنّ الباري سبحانه و تعالى إذا امَرَ امراً تكوينيا لا يكون هناك تَخلُّف و لا اختلاف , و إذا نَهى نَهياً تكوينيا لا يتحقَّق ذلك الشيء الذي نَهى عنه نَهيا تكوينيا _ الكلام هنا في الامر و في النَهي الشرعي , في ارادَته التشريعية , انّ الباري سبحانه و تعالى ارادَ من العباد أشياء لكن لم يجبرهُم على هذه الاشياء , و نَهاهُم عن اشياء

لكن لم يَمنَعهُم بِنَحو الجَبر و بِنَحو الإضطرار عن هذه الاشياء و إنّما امَرَهُم و نَهاهُم إلاّ انّه سبحانه و تعالى اعطاهُم القدرة التي يتمكنون فيها من الفعل , يتمكنون فيها من التَرك , و اعطاهُم الإختيار , اعطاهُم الإمكانية على تصوير هذه القدرة إمّا بالفعل و إمّا بالتَرك و هذه هي عقيدة : المنزلة بين المنزلتَيْن _ و هذه الصورة الظاهرية لها

_ أمّا حقيقة الأمر واقعا , نَحن لا نُدرِك اسرار هذه المنزلة و لذلك في الروايات الشريفة انّ هذه المنزلة لا يعلَمُها إلاّ العالِم , يعني بالعلم الحقيقي , و العالِم المراد منه الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه { إنّ هذه المنزلة اللطيفة لا يعلَمُها إلاّ العالِم او مَن علَّمَهُ العالِم } هذا العلم هنا علم فرعي , أمّا العلم الحقيقي بِهذه المنزلة موجود عند المعصوم صلوات الله و سلامه عليه , أمّا ما علَّمَهُ العالِم لِغَيره فَذلك بِحسَب مدارِك الناس , و بِحسَب سعَة عقول الناس , و بِحسَب سعَة قلوب الناس , و بِحسَب مقدار الحواجب التي تَحجب بَصائر الناس يكون ادراكُهم لِمَعرفة اسرار هذه المنزلة , أمّا العلم الكامل بها فَهو لا يعلَمُها إلاّ العالِم , يعني إلاّ الإمام المعصوم صلوات الله و سلامه عليه .

_ و أمَرَهُم و نَهاهُم , فَما امَرَهُم به من شيء _ يعني و كل شيء امَرَهُم به _ فَما أمَرَهُم به من شيء فقد جعلَ لَهُم السبيل إلى تَركِهِ _ جعل لهم السبيل إلى تركه _ لا من جهة انّه جوَّزَ لهم التَرك و إنّما _ جعلَ لَهُم السبيل إلى تَركِهِ _ من جهة التكوين لا من جهة التشريع أي انّه تكوينا اعطاهُم القدرة على ان يفعَلوا الذي امَرَهُم به و في نفس الوقت اعطاهُم القدرة على ان يتركوا هذا الامر بِحسَب اختيارهم و إلاّ ليس المقصود هنا _ فقد جعلَ لَهُم السبيل إلى تَركِهِ _ من الجهة الشرعية , إذا كان هكذا صارَ هذا الامر مُباحا , ليس امراً واجبا على الناس , المقصود هنا (السبيل) من الجهة التكوينية , يعني انّ الله سبحانه و تعالى امَرَهُم و نَهاهُم و ما من شيء امَرَهُم به إلاّ و قد جعلَ لهم السبيل إلى تَركه _ إلا و قد جعل لهم السبيل إلى تركه , من جهة قدرة نفس الإنسان , يعني الإنسان قادر على ان يأتيَ بالامر الذي امَرَهُ الله به و قادر على ان يترك هذا الامر , الامر راجع إليه , الباري سبحانه و تعالى اودَعَ عند الإنسان القدرة على ان يفعل , على ان يترك , و في نفس الوقت امَرَهُ و نَهاهُ و في نفس الوقت اعطاهُ ايضا الإختيار على ان يُصَوِّر هذه القدرة المودَعة عندَه _ إمّا أنْ يُصَوّرها بالأمر الحسن , فأنْ يأتَمِر بأوامر الباري _ و إمّا ان يُصَوّرها بالامر السيّء _ فأنْ يُخالف أوامر

الباري سبحانه و تعالى (فَما امَرَهُم به من شيء فقد جعلَ لَهُم السبيل إلى تَركهِ) و هذا الكلام هو رَدٌّ على عقيدة المُجبِّرة الذين يقولون بأنّ الله سبحانه و تعالى جبَرَ العباد على الافعال , الرواية هنا تشير إلى بُطلان هذه العقيدة و انّ العقيدة السليمة هكذا : إنّ الله أمَرَ و نَهى العباد و اعطاهُم القدرة على التَرك و على الفعل , فَلذلك الافعال الصادرة , صادرة بِقُدرَة الله , صادرة بِمِلك الله سبحانه و تعالى و تَحت سلطة الباري لكن تصوير هذه القدرة و تصوير هذه الافعال إنّما هو راجع إلى نفس العبد _ فَما أمَرَهُم به من شيء فقد جعلَ لَهُم السبيل إلى تَركهِ _ و الرواية تستَمر فتَقول : و لا يكونون آخذين و لا تارِكين _ أخذين يعني آخِذين بالفعل , مقصود أخذين _ و لا يكونون آخذين _ يعني شارِعين بالفعل , عامِلين بالامر _ و لا يكونون آخذين و لا تارِكين _ سواء فعَلوا بأمر الله او تَركوا ما امَرَ الله , او تَركوا ما نَهى الله سبحانه و تعالى عنه او فعَلوا ما نَهى الله عنه , في كل هذه الحالات _ و لا يكونون آخذين و لا تارِكين إلاّ بإذن الله _ مقصود (إلاّ بإذن الله) ليس من الجهة الشرعية _ ليس من الجهة الشرعية , يعني مثلا : انّ الإنسان يفعل الامر الذي يَنهاهُ الباري عنه سبحانه و تعالى و نقول إنّما فعَلَهُ بإذن الله الشرعية , لا , الباري سبحانه و تعالى نَهى عن هذا الامر , يعني الإنسان يشرب الخَمر فنَقول بأنّ هذا الإنسان شربَ الخمر بإذن الله الشرعية , هذا لا يُقال , هذا الكلام ليس صحيحا لأنّ الباري سبحانه و تعالى شرعاً نَهى عن شُرب الخمر , أمّا بإذن الله التكوينية , نعَم , لأنّه ما من شيء يَحدث في هذا الكون إلاّ و هو تَحت سلطة الباري سبحانه و تعالى , يعني انّ الباري سبحانه و تعالى لو ارادَ تكوينا ان لا يشرب هذا الإنسان الخمر لا يتمكن هذا المَخلوق و لا غير هذا المَخلوق من ان يشرب الخمر إذا كان الباري ارادَ ذلك تكوينا , أمّا الباري سبحانه و تعالى ارادَ ذلك تشريعا , ارادَ للإنسان تشريعا ان لا يشرب الخمر و اعطاهُ القدرة على ان يشرب و على ان لا يشرب و الامر راجع إلى نفس الإنسان (و لا يكونون آخذين و لا تارِكين إلاّ بإذن الله) مقصود إلاّ بإذن الله من جهة التكوين لا من جهة التشريع

_ أمّا بالضبط ما المقصود من معنى : إذن الله هنا _ العلماء اختلَفوا في معناها و آراء متعددة , منهم مَن قال : إلاّ بإذن الله _ يعني إلاّ بِعلم الله , يعني و انّ هؤلاء لا يفعلون و لا يتركون إلاّ بِعلم الله (إلاّ بإذن الله) إلاّ بِعلم الله .

ـ و منهم مَن قال : إلاّ بإذن الله ـ يعني إلاّ بِقُدرَة الله , يعني في الجانب التكويني , المعنى الذي اشَرتُ إليه بِشَكل سريع

ـ و منهم مَن قال : إلاّ بإذن الله ـ يعني أنّ الباري سبحانه و تعالى يرفع الموانع عن تَحقُّق ذلك الفعل حتى لو كان لا يريدُه شرعاً , يرفع الموانع , بِرَفع الموانع , يعني انّ ارادَتَهُ الحتمية لا تتحقَّق في خصوص هذا الامر او في ذاك و إنّما المسألة تبقى مُتعلّقة بِنَفس الإنسان

على أي حال , و في المطلب تفريعات فلسفية نَحن لَسنا بِصَدد ايرادها لكن المعنى الاوجَه هو المقصود (إلاّ بإذن الله) بإذن الله من جهة التكوين , من جهة القدرة الإلهية المبسوطة على كل شيء , بِهذا يَتمُّ الكلام في الرواية الخامسة .

ـ ننتقل إلى الرواية السادسة : عن أبي عبد الله عليه السلام , الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله و سلامه عليه ايضا { قال , قال رسول الله صلى الله عليه و آله : مَن زعَمَ انّ الله يأمُر بالسوء و الفحشاء فقد كذَبَ على الله , و مَن زعَمَ انّ الخيرَ و الشرَّ بِغَير مشيئة الله فقد اخرَجَ الله من سلطانه , و مَنْ زعَمَ انّ المعاصي بِغَير قوة الله فقد كذَبَ على الله , و مَن كذبَ على الله ادخَلَهُ الله النار } هذه الرواية , تقريبا مرَّتْ علينا نفس هذه المضامين في الدرس الماضي , إذا تتذَكّرون , الرواية الثانية , عن ابي بصير عن ابي عبد الله قال { مَن زعمَ انّ الله يأمر بالفحشاء فقد كذبَ على الله , و مَن زعمَ انّ الخير و الشرَّ إليه فقد كذبَ على الله } تقريبا هذا المضمون نفسُه الموجود في الرواية الثانية التي شرَحتُها في الدرس الماضي , موجود في هذه الرواية السادسة و إنْ كانت الرواية السادسة هنا اكثر تفصيلا من الرواية السابقة لذا نَقِفُ بعض الشيء في بيان معنى هذه الرواية الشريفة

ـ نَبيُّنا صلى الله عليه و آله و سلم يقول : مَن زعمَ ـ و الزَعم هو الإدّعاء , و غالبا في كلام العرب , الزَعم يُستعمَل في الإدّعاء الباطل , يمكن ان يُستعمَل في الإدّعاء الصحيح لكن في الغالب في كلام العرب حينما يُقال انّ فلانا زعمَ كذا و كذا فَزعمُه هنا في الإدّعاءات الباطلة (مَنْ زعمَ) و هنا الإمام صلوات الله و سلامه عليه استعمَلَها في هذا المعنى , في معنى الإدّعاءات الباطلة (مَن زعَمَ انّ الله يأمُر بالسوء و الفحشاء فقد كذَبَ على الله) إذا تتذَكّرون تَحدَّثتُ في حينها عن معنى الحُسن و القُبح

العقليَين , لا أُعيد الكلام , قُلت لأنّ بعض الاصحاب فهمَ هذه العبارة انّها جاءت في هذا المورد , في مورد الحُسن و القُبح العقليَين , لا أُعيد الكلام باعتبار ذكَرتُه فيما سلَف

_ و هناك احتمال ثاني و هو الذي يتعلَّق بالبحث و هو الاوجَه : مَن زعَمَ انّ الله يأمُر بالسوء و الفحشاء فقد كذَبَ على الله _ الكلام هنا اشارة إلى عقيدة المُجبّرة باعتبار انّ المُجبّرة يقولون انّ الله سبحانه و تعالى جبَرَ العباد على الافعال الحسَنة و على الافعال القبيحة لذلك الإمام ماذا يقول ؟ يقول : مَن زعَمَ انّ الله يأمُر بالسوء و الفحشاء فقد كذَبَ على الله _ يعني هؤلاء المُجبّرة يقولون انّ الله جبَرَ العباد على الافعال السيئة , يعني هكذا يريدون ان يقولوا , يقولون : انّ الله يأمر بالسوء و الفحشاء , لأنّ الله سبحانه و تعالى حينما يجبر العبد على الزنا فَهذا امر صدرَ من الباري , امر تكويني , يعني الله ارادَ لِهذا العبد ان يزني , ارادَ لِهذا العبد ان يشرب الخمر او ان يقتل المؤمن او سائر الافعال الاخرى , فَحينما يكون الباري سبحانه و تعالى هو الذي جبَرَ هذا العبد تكوينا , يعني هو الذي امَرَ بِهذا و بذلك يكون الباري قد امَرَ بالسوء و الفحشاء , فإمامُنا صلوات الله و سلامه عليه في هذا الحديث المنقول عن نَبيّنا صلى الله عليه و آله و سلم يشير إلى هذه الحقيقة _ مَن زعَمَ انّ الله يأمُر بالسوء و الفحشاء فقد كذَبَ على الله

_ ثم يقول : و مَن زعَمَ انّ الخيرَ و الشرَّ بِغَير مشيئة الله _ و هي عقيدة المفوّضة باعتبار انّ المُفوّضة ماذا يقولون ؟ يقولون : انّ العبد هو الذي يَخلق الخير و هو الذي يَخلق الشر

_ المُجبّرة جعَلوا الافعال بِتَمامها عائدة إلى الله , من جانب القدرة و من جانب الإختيار و من جانب النيَّة و من جانب العزيمة , جعَلوا النيَّة و العزيمة و القدرة و الإختيار كلّهُ بِيَد الله و العبد مَجبور على فعل السيء او على فعل الحسَن

_ المُفوّضة بالعكس , قالوا : انّ الله لا مدخلية له في افعال العباد , الله فقط خلَقَ العباد , و أمّا العباد هُم الذين خلَقوا افعالَهُم بِقُدرَتهم و الخَلق من نفس العبد , سواء كان الفعل حسنا او سيئا و هذه العقيدة يعني انّه سيَجري في مَملكة الله افعال و اشياء , الباري سبحانه و تعالى ليس هو الذي خلَقَها و ليس هو الذي اوجَدَها و هذا تصغير لِقَدر الباري و تصغير لِشأن الباري لأنّه ما من شيء إلاّ و هو في ملكهِ _ و لذلك هذه العقيدة , عقيدة الإمامية : المنزلة بين المنزلتَين , عقيدة في غاية الدقّة و عقيدة في غاية اللُطف , تَحتاج إلى تَمَعُّن في ادراك اسرارها و ادراك ابعادها , انا قُلت في الدرس

الاول , الآن بدأ الفلاسفة الاوروبيون يُدرِكون هذه الحقيقة و لذلك جُملة من الفلاسفة الاوروبيين حينما تَحدَّثوا عن مسألة افعال الإنسان , صوَّروها بِنَفس هذه الصورة التي تَحدَّثَتْ عنها رواياتنا الشريفة , هذه المنزلة بين المنزلتَين , لأنّ هذه العقيدة بِحاجة الى تَمعُّن دقيق و بِحاجة إلى تَعقُّل و بِحاجة إلى تفَكُّر دقيق حتى يتمكن الإنسان من ادراك حكمة هذه العقيدة و من ادراك اسرار هذه العقيدة الشريفة

ـ و مَن زعَمَ انّ الخيرَ و الشرَّ بِغَير مشيئة الله فقد اخرَجَ الله من سلطانه ـ يعني انّ الإنسان يَخلق الافعال بِحسَب قُدرَته خارِج سلطان الله سبحانه و تعالى و لذلك قيلَ لهم انّهم مَجوس هذه الأُمّة , لماذا ؟ لأنّ المَجوس جعلوا لِهذا الكون خالقَيْن , جعلوا في هذا الكون إلهين (يَزدان) إله الخير و (إهريْمَن) إله الشر , و هؤلاء ايضا جعَلوا الله هو الذي خلقَ العباد و جعلوا العباد هُم الذين خلَقوا افعالَهُم , فَجَعلوا خالقَيْن في الكون , من هنا جاء في الروايات انّ القَدْرية مَجوس هذه الأُمّة و حتى المُجَبِّرة هُم من مَجوس هذه الأُمّة , ابناء العامة عقيدتُهم في الغالب من المُجبّرة , و المعتزلة هُم المُفوّضة

ـ و مَن زعَمَ انّ الخيرَ و الشرَّ بِغَير مشيئة الله فقد اخرَجَ الله من سلطانه , و مَن زعمَ انّ المعاصي ـ لا زالَ الكلام ايضا عن عقيدة المفوّضة ـ و مَن زعمَ انّ المعاصي بِغَير قوة الله فقد كذبَ على الله ـ لأنّ هذه القوة الموجودة عند العبد , حتى هذه القوة التي يزني بها العبد , هذه القوة من الله , و هذه القوة التي يُجاهد بها الإنسان إلى درجة الإستشهاد في سبيل الله , هذه القوة ايضا من الله سبحانه و تعالى , هذه القوة التي يُصلي بها الإنسان من الله (إيّاك نعبُد و إيّاك نستعين) الإستعانة على هذه العبادة من الله سبحانه و تعالى , و هذه العقيدة ـ هذه العقيدة الصافية واضحة في هذه الآية الشريفة (إيّاك نعبُد) نَحن نعبد , نَحن الذين نتوَجّه بالعبادة (و إيّاك نستعين) و الإستعانة و القدرة منك و لذلك إمامُنا صلوات الله و سلامه عليه لَمّا ارادَ ان يناقش ـ لما أراد أن يناقش هذا القَدري الذي يقول انّ الافعال كلّها راجعة إلى العباد , قال له اقرأْ الفاتحة , فَقرأ الفاتحة إلى انْ وصلَ إلى (إيّاك نعبد و إيّاك نستعين) قال إذا كانت الافعال منك فَعلى أي شيء تستَعين بالله , إذا كنتَ انت تَخلق الافعال , هذه الإستعانة المذكورة هنا في هذه الآية لأيّ شيء ؟ (إيّاك نعبُد

و إيّاك نستعين) العبادة منّا باختيارنا و الإستعانة على العبادة منه , القوة منه (و مَن زعمَ انّ المعاصي بِغَير قوة الله فقد كذبَ على الله و من كذبَ على الله ادخلَهُ الله النار ـ و من كذبَ على الله ادخلَهُ الله النار) يعني أنّ الفرقتَيْن في النار لأنّ المُجبّرة قال عنهم الإمام صلوات الله و سلامه عليه (فقد كذَبوا على الله) و المُفوّضة ايضا قال عنهم (فقد كذَبوا على الله) ثم قال صلوات الله و سلامه عليه عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم : و من كذبَ على الله ادخلَهُ الله النار } .

ـ الرواية السابعة : عن إسماعيل بن جابر , المعروف عن اسماعيل هذا , ابن جابر بن يزيد الجُعفي , معروف بين علمائنا هكذا , إسماعيل بن جابر ـ إسماعيل بن جابر بن يزيد الجُعفي رضوان الله تعالى عليه , ابوه هذه الشخصية المعروفة , حامل اسرار اهل البيت صلوات الله و سلامه عليهم اجمعين , عن اسماعيل بن جابر قال : كان في مسجد المدينة رَجُل يتكلَّم في القدَر و الناس مُجتمعون , قال , فَقُلت : يا هذا أسألُك ـ يعني اسماعيل بن جابر يسأل هذا الرَجُل الذي يتكلَّم في القدَر ـ يا هذا اسألُكَ , قال : سَلْ , قلتُ : يكون في ملكِ الله تبارك و تعالى ما لا يريد , قال : فأطرقَ طويلا ثم رفَعَ رأسَهُ إليَّ فقالَ لي ـ هذا الرَجُل كان يتكلَّم في القدَر يعني بِعَقيدة المُفوّضة , كان يتكلم , كان يتكلم بعقيدة المفوضة , نقرأ الرواية من البداية حتى لا نَقِف طويلا عندها , اثناء قراءة الرواية اشرَح الفقرات لأنّه ما بقيَ عندنا وقت طويل للدرس .

ـ عن إسماعيل بن جابر قال : كان في مسجد المدينة ـ في مسجد النبي صلى الله عليه و آله ـ رَجُل يتكلَّم في القدَر ـ يعني في عقيدة المُفوّضة , المُفوّضة عقيدتهم واضحة , تَحدَّثنا عنها , يَجعلون الافعال راجعة للعبد , هو الذي يَخلق افعالَهُ ـ و الناس مُجتَمعون ـ يعني يُكلِّم الناس و هذه العقيدة يريد ان يُثبِتَها للناس ـ قال فَقلتُ : يا هذا ـ يُخاطبُه ـ أسألُك , قالَ : سَلْ , قلتُ : يكون في ملكِ الله تبارك و تعالى ما لا يريد ـ يعني أنت إذا تقول بأنّ العبد هو الذي يَخلق الافعال و هو الخالق لأفعاله , هذا يعني انّه ستَكون هناك من الافعال لا يريدها الله و هي الافعال التي نَهى عنها و ستَكون رغم ارادَة الباري سبحانه و تعالى و رغم قدرة الباري في مُلكهِ لأنّ العبد ارادَها , يمكن ان يكون هذا ـ قلتُ : يكون في ملكِ الله تبارك و تعالى ما لا يريد ـ يعني ما لا يريد تكوينا و

إلاّ ما لا يريد تشريعا موجود و ما اكثره في العالَم الدنيوي _ قال : فأطرقَ طويلا _ اطرقَ بِرأسه طويلا , تَحيَّرَ في الجواب _ ثم رفَعَ رأسَهُ إليَّ فقالَ لي : يا هذا , لئن قلتُ انّه يكون في مُلكهِ ما لا يريد إنّه لَمَقهور _ يعني إذا قلتُ هكذا و هي عقيدَتُه هكذا _ يقول : **يا هذا , لئن قلتُ انّه يكون في مُلكهِ ما لا يريد إنّه لَمَقهور** _ حينئذ , يعني سلَبتُ القدرة منه , يعني انّ الإنسان قهَرَهُ _ و **لَئن قلتُ لا يكون في مُلكهِ إلاّ ما يريد اقرَرتُ لك بالمعاصي** _ يعني اعتقدتُ بِعَقيدة المُجبّرة , فَهو الآن بِكَلامه هذا نقَضَ عقيدتَهُ و نقضَ عقيدة المُجبّرة , إذن لا يبقى هناك إلاّ العقيدة الثالثة و هي المنزلة بين المنزلتَيْن , السؤال كان في غاية الدقّة , سؤال اسماعيل بن جابر لِهذا الرَجُل القَدْري كان في غاية الدقّة , يكون في ملك الله تبارك و تعالى ما لا يريد ؟ و لذلك هذا تَحيَّر في السؤال , هو كان يريد ان ينشر عقيدتَهُ على الناس , فَماذا قال ؟ قال يا هذا , لئن قلتُ انّه يكون في مُلكهِ ما لا يريد _ و هو كلام المُفوّضة لأنّ المُفوّضة يقولون انّ العبد هو يَخلق الافعال لِوَحده و حينئذ إذا كان العبد يَخلق الافعال لِوَحده فإنّ هناك من الافعال التي يَخلُقها , و الباري لا يريدها فَحينئذ ستَكون . تكويناً . خُلِقَتْ من قِبَل الإنسان و الباري لا يريدها فأصبحَ الإنسان قاهرا لله و هذا لا يمكن و لذلك هو نفس المُفوّضة , هذا لَمّا التفتَ إلى النقص في عقيدته اقَرَّ _ قال : لئن قلتُ انّه يكون في مُلكهِ ما لا يريد , حينئذٍ إنّه لَمَقهور , و لئن قلتُ : لا يكون في ملكهِ إلاّ ما يريد _ يعني انّه و لا يتحقَّق شيء إلاّ الذي يريدُه و هو قول المُجبّرة باعتبار انّهم يقولون انّه كل شيء يتحقَّق في هذا الكون يريدُه الله _ أقرَرتُ لك بالمعاصي _ يعني أقرَرتُ بأنّ المعاصي راجعة إلى الله , هو الذي اوجَدَ المعاصي , و لم يَقُل غير هذا الكلام لكنه ادركَ الحقيقة التي اشارَ إليها اسماعيل بن جابر , لذلك إمامُنا الصادق علَّقَ على هذا الكلام _ قال , **فَقلتُ لأبي عبد الله عليه السلام : سألتُ هذا القَدْري فَكانَ من جوابه كذا و كذا** _ ماذا علَّقَ إمامُنا الصادق _ **فَقال : لِنَفسهِ نظَرَ , أما لو قالَ غير ما قال لَهلَك** _ لِنَفسهِ نظَرَ يعني لِنَفسه احتاطَ و خافَ على نفسه من الهلَكَة , هذا المقصود (لِنَفسهِ نظَرَ _ لنفسه نظر) يعني خافَ على نفسه من الهلَكَة و احتاطَ لِنَفسه لذا كانت اجابَتُه اجابة مُنصفة لأنّه قال : لئن _ كان يمكن أن يتحقَّق شيء في مُلك الله و هو لا يريدُه صارَ الله مقهورا , و لئن _ قال بأنّه كل شيء يتحقَّق في هذا الكون إنّما هو بإرادة الله التكوينية فَحينئذ تكون**

المعاصي التي يرتكبُها العباد هي معاصي الله سبحانه و تعالى , يعني هذه القبائح الله يفعَلُها و هو مُنَزَّه عن ذلك , لذلك لا يبقى احتمال إلاّ هذا الإحتمال الوسط , المنزلة بين المنزلتَيْن (لا جبرَ و لا تفويض , إنّما هو امرٌ بين امرَيْن) منزلة بين المَنْزلتَيْن .

ـ الرواية الثامنة : عن أبي عبد الله عليه السلام ـ رَجُل يسأل الإمام ـ **قلتُ : اَجَبَرَ الله العباد على المعاصي ـ اَجَبَرَ الله العباد على المعاصي , قال , لا , قلتُ : فَفوَّضَ إليهم الأمر ـ يعني تركَ الامر إليهم كما تقول المُفوّضة , قال , قال : لا , قال , قلتُ : فَماذا ـ إذا لم يكُن الباري قد جبَرَ العباد على المعاصي , لأنّه سألَ الإمام , اَجَبَرَ الله العباد على المعاصي ؟ قال : لا , أفوَّضَ إليهم , قال : لا , قلتُ فَماذا ـ لأنّه يتصوَّر إمّا هو جبر و إمّا هو تفويض ـ قلتُ : فَماذا , قالَ :** لُطْفٌ من ربِّكَ بين ـ لُطْفٌ من ربِّكَ بين ذلك ـ يعني لطفٌ بين الجبر و التفويض , لطفٌ بين هاتَين المنزلتَيْن , مقام بين هذين المقامَيْن , اللُطف يعني هو **الرحمة , اللُطف في لغة العرب : يعني إذا ارَدنا ان نَقِف عند بيان معنى اللُطف ـ اللُطف في لغَة العرب : تعني الرحمة , تعني الرأفة , تعني الشَفَقة , تأتي بِهذه المعاني , هذه مصاديق لِمَعنى اللُطف او مراتب من معنى اللُطف ـ اللُطف بالاصطلاح الكلامي تَحدَّثتُ عنه في الدروس الماضية , حينما قلتُ : بأنّنا نعتقد بأنّ اللُطف من شؤونات الباري ـ و قلتُ : أنّ علمائنا المُتكلّمين قالوا انّ اللُطف واجب على الله سبحانه و تعالى , في حينها إذا تتذَكَّرون بيَّنتُ معنى اللُطف و هو : تَهيئة المُقدمات لِفعل الخير لا على نَحو الإلجاء , لا على نَحو الإجبار ـ و قلتُ : أنّنا لا نقول انّ اللُطف واجب على الباري سبحانه و تعالى , مَن نَحن حتى نقول بأنّ اللُطف واجب على الباري ؟ و إنّما قُلنا كمال الباري يقتضي اللُطف , جَمال الباري يقتَضي اللُطف , ربّما وقعَتْ هذه العبارة في عبارات علمائنا المُتكلّمين , و في عبارات المُتكلّمين شيء من القسوة في التعبير ـ قالوا : بأنّ اللُطف واجب , يَجب على الله ان يكون لَطيفا , لكن الادَب يقتضي ان نقول بأنّ اللُطف , كمال الباري يقتضي ان يكون لطيفا , كمالُه سبحانه و تعالى , جَمالُه , من شؤونات كمالهِ و من شؤونات جَماله هو اللُطف , تَحدَّثتُ عن هذا المعنى , فاللُطف في اللغَة بيَّنتُ معناه قبل قليل , لُطف بالمعنى الإصطلاحي عند المُتكلّمين من علمائنا , اشَرتُ إليه و في السابق تَحدَّثتُ عنه ـ لكن الذي يبدو انّ معنى اللُطف هنا المذكور في هذه الرواية : لا هو بالمعنى اللغَوي و لا هو كذلك بالمعنى الإصطلاحي المُتقدِّم ـ و إنّما التعبير هنا باللُطف عن المنزلة بين**

المنزلتَيْن _ و هو نفوذ القدرة الإلهية في سائر الموجودات و نفوذ القدرة الإلهية في افعال العباد , هذا التعبير تعبير السيّد الطباطبائي رحمة الله عليه صاحب (الميزان) عن معنى اللُطف في هذه الرواية الشريفة , اللُطف هو نفوذ القدرة الإلهية و هذا المعنى ادَق من المعنى الاول و من المعنى الثاني , نفوذ القدرة الإلهية في افعال العباد سواء في الافعال التي يأتي بها العباد بالصورة الحسَنة او في الافعال التي يأتي بها العباد بالصورة السيئة , بالنتيجة قدرة الباري نافِذة في عباده , نافذة في كل شيء , داخلة في كل شيء , مُتسلِّطة على كل شيء و ما من فعل يصدر من العباد إلاّ و قدرة الباري نافذة فيه لكن بِمَعنى النفوذ التكويني , بِمَعنى الإرادة التكوينية , بِهذا المعنى و إلاّ ارادَتُه الشرعية يُخالفها العباد .

_ الرواية التاسعة : **عن أبي جعفر و ابي عبد الله عليهما السلام , عن صادق العترة و عن باقر العترة صلوات الله عليهم قالا : إنّ الله ارحَمُ بِخَلقهِ من ان يجبرَ خلقَهُ على الذنوب ثم يُعَذّبَهُم عليها _ إنّ الله ارحَمُ بِخَلقهِ من ان يجبرَ خلقَهُ على الذنوب ثم يُعَذّبَهُم عليها, و الله اعَزُّ من ان يريد امراً فلا يكون _ الكلام هنا ايضا عن العقائد المُنحرفة و الضالّة في هذه المسألة , انتَبِهوا إلى فقرات الرواية , تقريبا الالفاظ مُتغيِّرة و إلاّ المعاني مرَّتْ علينا في الروايات المُتقدمة _ إنّ الله ارحَمُ بِخَلقهِ من ان يجبرَ خلقَهُ على الذنوب ثم يُعَذّبَهُم عليها _ هذه عقيدة المُجَبِّرة , المُجبّرة يقولون : الله جبَرَ العباد على الافعال و يعتقدون ايضا بِيَوم القيامة و يعتقدون بالتعذيب في يوم القيامة , إذا كان الباري هو الذي جبَرَ العباد على الافعال السيئة فلأيِّ شيء يُعَذّبهم ؟ هو الذي جبَرَهُم , هذا قَدحٌ في عدالة الباري سبحانه و تعالى , هذا انتقاص من عَدله جلَّتْ قدرَتُه و تعالى شأنُه و تقدَّس , فَلذلك الإمام يقول : إنّ الله ارحَمُ بِخَلقه _ رَحمتُه و هو ارحَمُ الراحمين _ إنّ الله ارحَمُ بِخَلقهِ من ان يجبرَ خلقَهُ على الذنوب _ هو يجبرُهم ثم بعد ذلك يُعَذّبهم ؟ فهو ارحَم من ذلك , اصلاً العبد إذا جبَرَ عبداً آخر على فعل سيء يستصعب ان يُعَذّبه , يعني الآن العبد يجبر عبداً آخر على فعلٍ سيء , يستصعب بعد ذلك ان يُعَذّبه , ربّما قد يكون هناك من الناس مَن يجبر عبداً على الفعل السيء ثم يعذّبه , قد يكون ذلك لكن في الغالب , في الغالب , حتى هذا الذي , و هذا الذي يجبر الناس على الفعل السيء , قطعاً فطرَتُه معوَجّة لكن مع ذلك حتى هذا الذي**

يريد ان يجبر العباد على الافعال السيئة من نفس العباد , ايضا يستصعب ان يُعذّبهم لأنّه سيواجِه هذا الإشكال , انت الذي اجبَرْتَنا على ذلك , فَكيف يمكن ان تُتَصوَّر هذه الحالة في ارحَم الراحمين , في اجوَد الاجوَدين سبحانه و تعالى _ إنّ الله ارحَمُ بِخَلقهِ من ان يجبرَ خلقَهُ على الذنوب ثم يُعَذّبَهُم عليها _ هذه عقيدة المُجبّرة , فَسادُها واضح _ و الله اعَزُّ من ان يريد امراً فلا يكون _ و الكلام هنا ايضا في مواجهة عقيدة المُفوّضة باعتبار انّهم يقولون : انّ الإنسان قادر على ان يَخلق افعالا و هذه الافعال ربّما الباري لا يريدها لكن الإنسان يَخلقها و يَخلقها في مَملكة الله سبحانه و تعالى فَلذلك الحديث يقول : و الله اعَزُّ من ان يكون مثل هذا الشيء في مُلكهِ _ و الله اعَزُّ من ان يريد امراً فلا يكون _ قال , فَسُئِلا عليهما السلام , يعني الإمامان سُئِلا : هل بين الجَبر و القَدر مَنْزلة ثالثة _ هذه الرواية , قلتُ قبل قليل انّه في بعض الروايات انّ المقصود بالقَدْرية هُم المُفوّضة , هذه الرواية تُشعِر بِذلك , تُلاحظون _ هل بين الجَبر و القَدر _ لأنّ الجَبر عقيدة المُجبّرة , و القَدر ماذا ستَكون ؟ ستَكون عقيدة المُفوّضة و لذا قلتُ : في بعض الروايات يُعبَّر عن المُفوّضة بالقَدْرية لكن بِشَكل عام المقصود بالقَدْرية في رواياتنا المُجبّرة و المُفوّضة و كلاهُما مَجوس هذه الأُمّة , يعني ابناء العامة , المُخالفين لأهل البيت و المعتزلة , المُعتزلة الآن انقَرَضوا , أمّا ابناء العامة ما اكثرهُم الآن و هؤلاء كلّهُم مَجوس هذه الأُمّة لعنة الله عليهم جَميعا _ قال : فَسُئِلا عليهما السلام .

(إلى هنا ينتهي الكاسيت)

ملاحظة :

(1) الافضل مراجعة الكاسيت لاحتمال وجود بعض الاخطاء المطبعية .

(2) و قد تكون بعض المقاطع غير مُسجَّلَة من الوجه الاول و الثاني للكاسيت فَيُرجى مراعاة ذلك .

(و نسألُكم الدعاء لِتَعجيل الفرَج)